

عمارة الرومانيسك في إيطاليا - (الجزء 1)

Romanesque Architecture in Italy

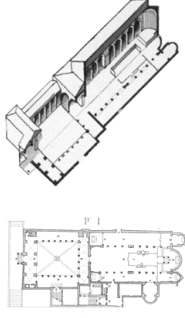
تتميز إيطاليا بين بلاد أوروبا بأنها كانت موطن العمارة الرومانية والعمارة البيزنطية وبالتالي فإن بقايا هذه العمارة كانت ماثلة للعيان في القرون الوسطى في كثير من الأماكن وكثيرا ما كانت المباني القديمة لا زالت مستخدمة. فكان من الطبيعي أن يظهر تأثير هذه العمارة بشكل واضح على الكنائس في عمارة الرومانيسك في إيطاليا وهو ما يظهر من خلال اعتماد التصميم البازيليكالي والتمسك بالأسقف الخشبية الجملونية المرئية من الداخل إضافة إلى استمرار انعكاس هذا التصميم على الواجهات الخارجية، وبناء أبراج مستقلة عن المبنى، كما تم هنا استخدام التصميم المركزي في بناء مبان مستقلة مخصصة للمعموديات Baptistry.

ولكن تقسيم إيطاليا إلى مقاطعات مستقلة يحكمها ملوك ونبلاء مختلفون، إضافة إلى الامتداد الجغرافي ومواد البناء المتوفرة والمناخ المختلف من منطقة إلى أخرى أدت جميعها إلى ظهور تباين في العمارة بين هذه المناطق. حيث تشكل كاتدرائيات وكنائس شمال إيطاليا في كل من بارما وبافيا ومودينا وميلانو مجموعة خاصة إضافة إلى كنائس روما ومباني التوسكانا في كل من بيزا وفلورنس ولوكا، التي تختلف بدورها عن مباني الجنوب في باري، بينما يظهر تأثير العمارة الإسلامية في أقصى الجنوب وفي جزيرة صقلية.

1. عمارة الرومانيسك في وسط إيطاليا

لم يذهب الإيطاليون في وسط إيطاليا بعيدا في إدخال طرق جديدة في أسلوب تصميم وإنشاء مبانيهم، فبقيت عمارتهم خاضعة لمعايير وقيم العمارة الكلاسيكية، كما أنهم فضلوا إبراز النواحي الجمالية والفنية في المباني، من خلال الاهتمام بالواجهات.

تم في روما التي تشكل قلب المسيحية في الغرب ومركز البابوية بناء عدة كنائس في هذه الفترة مطابقة في تصميمها لكنائس فجر المسيحية بهدف إحيائها، كما في كنيسة سانتا ماريا ان كوسميدين Santa Maria in Cosmedin, Rome في القرن 12 م وكنيسة سان كليمنتي San Clemente al Laterano, Rome التي جرت إعادة بنائها ما بين 1108-1128 م فوق كنيسة من القرن السادس الميلادي.



كنيسة سان كليمنتي في روما

كنيسة سانتا ماريا ان كوسميدين في روما

تتميز الكنيسة ببنية بازيليكالية مكونة من ثلاثة مجازات مع تناوب للدعامات والأعمدة في الرواق الفاصل وتنتهي المجازات الثلاث من جهة الشرق بمحاريب أكبرها هو المحراب المركزي. سقف المبنى جملوني ذو بنية خشبية مرئية من الداخل. ويلحق بالمبنيين من جهة الغرب رواق أمامي وفناء. مادة البناء الرئيسية هي القرميد مع أعمدة وتيجان رخامية معادة الاستعمال وأرضية المبنيين من الرخام المشقف.

1.1.1. عمارة الرومانيسك في منطقة التوسكانا

يطلق على عمارة مقاطعة التوسكانا في هذه الفترة عمارة ما قبل عصر النهضة Proto-Renaissance وهي تستمر وصولاً إلى عصر النهضة دون حضور قوي للعمارة الغوطية.

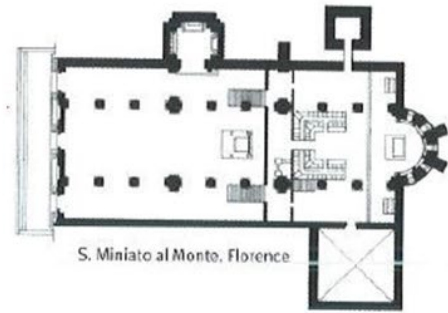
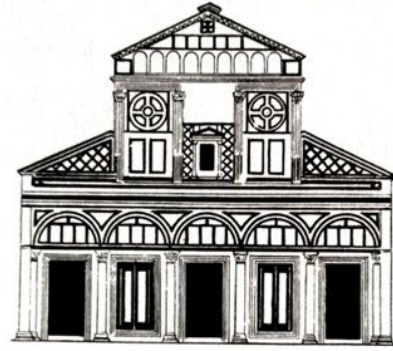
تتميز عمارة هذه المنطقة باستخدام القرميد كمادة بناء رئيسية مع إكساء الجدران الخارجية والداخلية بالرخام بتشكيلات هندسية مميزة وكانت الأخشاب العنصر الرئيس في إنشاء أسقف الكنائس. ويظهر انعكاس بنية البازيليكا المتدرجة في الواجهات الخارجية التي يعتمد في تشكيلها على الأروقة الظاهرية blind arcade إضافة إلى الأروقة الصغيرة dwarf gallery وخاصة في الواجهة الأمامية. أما برج الكنيسة campanile فهو غالباً برج مستقل مربع الشكل ذو موقع مختلف من مبنى إلى آخر.

1.1.1.1. كنيسة سان مينيأتوال مونتي في فلورنس - San Miniato al Monte, Florence

بنيت هذه الكنيسة ما بين 1062-1090 م (وبعدها). تصميمها متأثر بالكنائس المبكرة ذات المسقط البازيليكالي البسيط فهي مكونة من مجاز مركزي ومجازين جانبيين يفصل بينها رواق مكون من تناوب الدعامات والأعمدة التي تحمل أقواساً نصف دائرية. ينتهي المحور الطولي للكنيسة بمحراب واحد في جهة الشرق ويتقدمه فراغ مرتلين choir ذو منسوب مرتفع تقوم تحته كنيسة سفلية crypt تظهر واجهتها على شكل جدار فاصل ضمن الكنيسة.

البازيليكا مسقوفة بجمالون خشبي تظهر بنيته الإنشائية من الداخل. مادة البناء الأساسية هي القرميد ولكن تم إكساء قسم كبير من السطوح الجدارية بالرخام على شكل إطارات هندسية وضمنها بعض الزخارف البسيطة، إضافة إلى الأرضية الرخامية - رخام مشقف. وفي الشرق تغطي نصف قبة المحراب لوحة موزاييك (1297 م).

مقطع البازيليكا المتدرج ينعكس على تصميم الواجهة الرئيسية من الغرب. الواجهة تتألف من جزأين: القسم السفلي مكون من خمسة أقواس نصف دائرية محمولة على أنصاف أعمدة كورنثية أي أنه لدينا رواق ظاهري blind arcade تنفتح ضمنه بوابة مركزية واثنتان جانبيتان. القسم العلوي من الواجهة يبرز امتداد المجاز المركزي نحو الأعلى. التشكيل يعتمد هنا على أربعة أنصاف دعامات pilaster كورنثية الشكل تحمل الجبهة المثلثة.



كنيسة سان مينيأتو ال مونتي في فلورنس: واجهة غربية - مسقط - المجاز المركزي

الواجهة بكاملها ذات إكساء رخامي تعتمد على رخام كارارا الأبيض Carrara marble مع تقسيم السطوح إلى تشكيلات هندسية بواسطة إطارات من الرخام الأخضر الغامق - التقسيمات الهندسية لا تتوأكب مع الخطوط الإنشائية أي أنها مجرد زخرفة.

يلحق بالكنيسة برج أجراس مستقل مربع الشكل يقع شمال المبنى لم يكتمل إنشاؤه حتى عام 1499م ولكنه تهدم وأعيد بناؤه عام 1523 م.

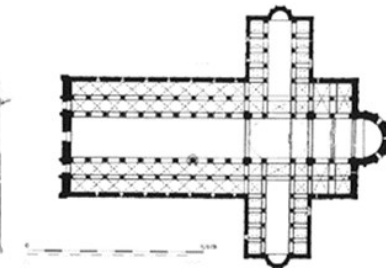
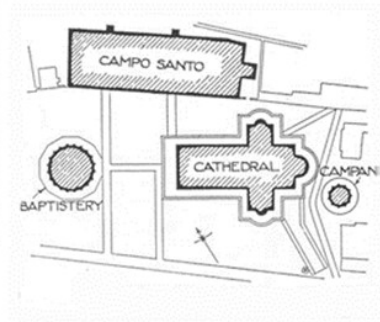
2.1.1. كاتدرائية بيزا - Pisa Cathedral

كاتدرائية بيزا Cathedral Santa Maria Assunta, Pisa هي جزء من مجمع مكون من مبنى الكاتدرائية وبرج مستقل campanile - المعروف ببرج بيزا المائل - ومبنى المعمودية baptistery، أضيف إليها لاحقاً مقبرة campo santo. بدء البناء كان عام 1063م واستمر العمل إلى القرن 14م حتى أخذ المجمع شكله النهائي.

مبنى الكاتدرائية

مسقط الكنيسة على شكل صليب لاتيني وهي عبارة عن بازيليك مكونة من 5 مجازات: مجاز مركزي ومجازين جانبيين من كل جهة يعلوهما رواق gallery. يقطعها مجاز معترض transept مكون من 3 مجازات مع أروقة جانبية علوية gallery. أي كأن المبنى ناتج عن ارتباط ثلاث كنائس بازيليكية، ترتفع في مكان تقاطعها قبة crossing dome. وبالتالي للمبنى ثلاثة محاريب، الأول يقع في الشرق في نهاية المحور الطولي واثنان يقعان في نهايتي المجاز المعترض.

الأروقة الفاصلة بين المجازات مكونة من أعمدة ذات تيجان كورينثية تحمل أقواساً نصف دائرية يعلو كل منها في منسوب الطابق العلوي دعامات (تتناوب فيها صفوف الحجارة) تحمل قوساً نصف دائري مقسم بواسطة عمود مركزي إلى قوسين أصغر.



كاتدرائية بيزا: موقع - عام مسقط - المجاز المركزي - واجهة جنوبية وغربية

اللافت أن سطوح الجدران تحمل إكساء من الرخام الأبيض تتخلله أشرطة أفقية من الرخام الرمادي. المجازات الجانبية مسقوفة في الطابق الأرضي بقبوات متصالية بينما ينتهي المجاز المركزي المرتفع والمجازات الجانبية في الطابق العلوي بأسقف خشبية جملونية يغطيها من الداخل سقف مستعار (القرن 17 م).

بنية البازيليك تنعكس على الواجهات الخارجية وأكثرها تميزا الواجهة الغربية، التي تبدأ بقسم سفلي عبارة عن رواق ظاهري blind arcade مكون من 7 أقواس نصف دائرية محمولة على أنصاف أعمدة كورينثية تنفتح ضمنها بوابة مركزية واثنتان جانبيتان. يعلوها رواق من الأعمدة dwarf gallery والأقواس نصف الدائرية الصغيرة تكمل مستطيل الواجهة وصولا إلى بداية السقف المائل للمجازات الجانبية. يستمر هذا التشكيل في القسم العلوي من الواجهة المرتبط بالمجاز المركزي الأكثر ارتفاعا وهو يقسم إلى ثلاثة أروقة ذات أقواس نصف الدائرية، أعلاها يشكل الجبهة المثلثة.

هذا التشكيل باستخدام الأروقة يعطي الواجهة عمقا وحيوية نتيجة الظلال التي ترميها وتمنح الجدران الثخينة والمصمتة خفة ورشاقة. يغطي الجدران المبنية من القرميد إكساء برخام كارارا الأبيض تتخلله أشرطة أفقية من الرخام الرمادي، إضافة إلى حليات تزيينية ذات شكل معين. أما السطح الخارجي للأروقة فهو مساحة زخرفية منفذة بطريقة الرخام المشقف.

تقسيم الواجهة الأفقي يستمر في الواجهات الجانبية والخلفية ولكن باستخدام الأروقة الظاهرية وليس الحقيقية في القسم العلوي، ما يعطي المبنى وحدة في التشكيل مع إبراز أهمية واجهة المدخل وكذلك الواجهة الخلفية حيث ينتهي المحراب الشرقي الكبير من الأعلى بصفين من الأروقة الصغيرة dwarf gallery.

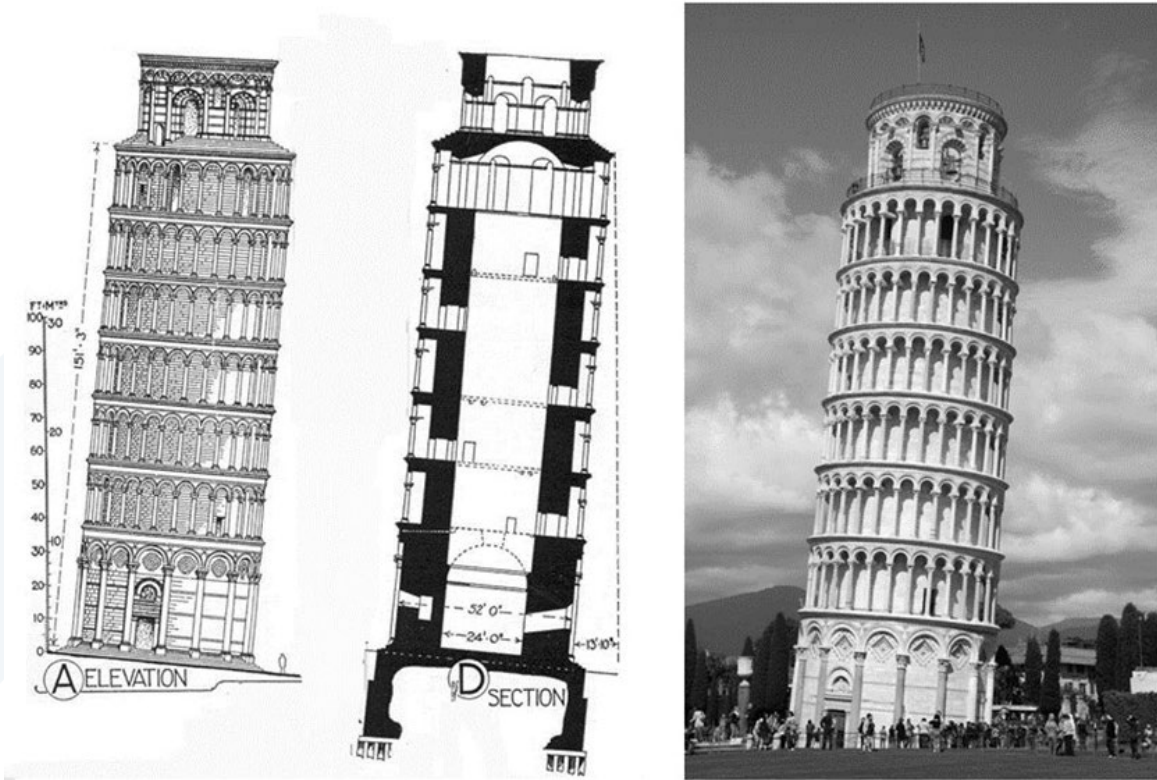
برج بيزا المائل - Leaning Tower of Pisa

يلحق بالكنيسة من جهة الشرق برج مستقل campanile، بدئ ببنائه عام 1173 م.

أول ما يميز هذا البرج هو شكله الأسطواني، فمعظم أبراج الكنائس في إيطاليا هي أبراج مربعة. مسقط البرج دائري مفرغ من الداخل. الدرج الحلزوني يقع ضمن جدار البرج الثخين. البرج مقسم من الخارج إلى سبع طبقات، أضيف إليها طبقة ثامنة أصغر لاحقا. الطبقة السفلية التي تضم المدخل تشكل قاعدة البرج وهي أكثر ارتفاعا من الباقي، واجهتها المصمتة مقسمة بواسطة رواق ظاهري blind arcade، كما في مبنى الكنيسة ويضم نفس الحليات ذات الشكل المعين. تعلوها ست طبقات متساوية ومتماثلة، تقل فيها ثخانة الجدران لتفسح المجال لوجود أروقة محيطة. أي أن هناك ربط في حل الواجهات مع المبنى الرئيس.

عندما وصل البناء إلى الطبقة الثالثة عام 1185 م بدأ البرج يميل باتجاه الجنوب الشرقي (السبب هو تأثير التربة الغضارية والرملية نتيجة تطبيق الحمولات) أدى ذلك إلى توقف العمل لمدة 100 عام وعندما تمت متابعة العمل بنيت الطبقات الأربعة الباقية بدرجة ميل أقل من التي وصل إليها البرج لتحقيق التوازن وجعلت للطبقة السابعة سقف على

شكل قبة مسطحة. ثم توقف العمل مرة أخرى إلى أن اكتمل عام 1372 م ببناء الطبقة الأخيرة التي تضم الأجراس. (الارتفاع الكلي 55 م - القطر 12 م - الانزياح 3.9 م - درجة الميل 4 درجات) البرج مبني بالكامل من رخام كارارا الأبيض.



برج بيزا المائل: واجهة - مقطع

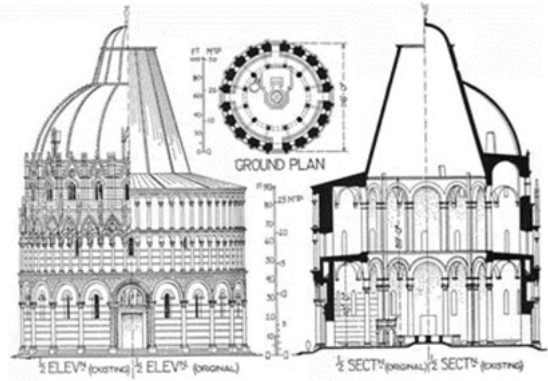
معمودية القديس يوحنا في بيزا Babtistry of St. John, Pisa

تتميز إيطاليا عن غيرها ببناء مبان مستقلة للمعمودية ومنها كنيسة المعمودية في بيزا، التي تعد الأكبر في العالم وغالبا ما كان يتم اختيار التصميم المركزي لهذا النوع من المباني.

يقع المبنى على محور كاتدرائية بيزا بحيث يتقابل المدخلان الرئيسان. بدء البناء كان عام 1153 م وهو عبارة كتلة أسطوانية تغطيها قبة. تم تصميم المبنى من الخارج بحيث ينسجم مع مبنى الكاتدرائية، أي أن له نفس الرواق الظاهري المكون من أنصاف أعمدة تحمل أقواسا نصف دائرية ليعلوها رواق محيط من الأعمدة والأقواس الصغيرة. ولكن نقص

التمويل أدى إلى توقف البناء فلم يكتمل من الخارج إلا حوالي 1284م وبالتالي تم تنفيذ القسم العلوي من الواجهة مع القبة وفق طراز العمارة الغوطية.

يضم المبنى من الداخل رواقا دائريا مكونا من طابقين تعلوه القبة. الرواق يتألف في الطابق الأرضي من أربع دعائم وبين كل اثنين منهما عمودان يحملان أقواسا نصف الدائرية، بينما يتكون الطابق العلوي من 12 دعامة مبنية بتناوب الرخام الأبيض والرمادي. يتوسط المبنى جرن معمودية مثنى الشكل.



معمودية القديس يوحنا في بيزا: الفراغ المركزي مع القبة - مقطع - مسقط
واجهة تظهر الحل الأول والحل المنفذ - واجهة شرقية

أثرت هذه المباني الهامة على عمارة الرومانيسك في منطقة التوسكانا عموما وخاصة فيما يتعلق بتشكيل الواجهات باستخدام الرخام الملون والأروقة المتكررة في الواجهة الرئيسية ومن المباني المشابهة كاتدرائية سان مارتينو في لوكا San Martino Cathedral, Lucca (القرن 12م) وكاتدرائية سان زينو في بيستويا San Zeno Cathedral, Pestoia (القرن 12-13م).

2. عمارة الرومانيسك في جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية

تأثرت عمارة جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية بالعمارة البيزنطية وبالعمارة الإسلامية نتيجة سيطرة المسلمين على الجزيرة في زمن الأغالبة والفاطميين (ما بين القرن 9-11 م).

تعرف هذه العمارة التي نشأت في زمن سيطرة الملوك النورمانديين على منطقة أبوليا جنوب إيطاليا وعلى جزيرة صقلية بمصطلح خاص بها norman-arabic-bzyantine Style كونها تجمع بين خصائص الطرز الثلاث. ويبرز تأثير عمارة النورماندي - التي بدأت في فرنسا - في الواجهة الغربية للكنائس التي تتميز بوجود برجين ضخمين بينهما مدخل الكنيسة twin tower façade. أما التأثير البيزنطي فيظهر عبر اعتماد التصميم البازيليكي ومن خلال العمارة الحجرية المتقنة والأسقف الخشبية الجملونية إضافة إلى استخدام الفسيفساء الزجاجية المذهبة لإكساء الجدران من الداخل، في حين يبرز تأثير العمارة الإسلامية باستخدام الأقواس المدببة والمتقاطعة والزخارف الرخامية والحجرية الملونة في تشكيل الواجهات الداخلية والخارجية والأرضيات إضافة إلى استخدام القباب والمقرنصات في بناء القصور.

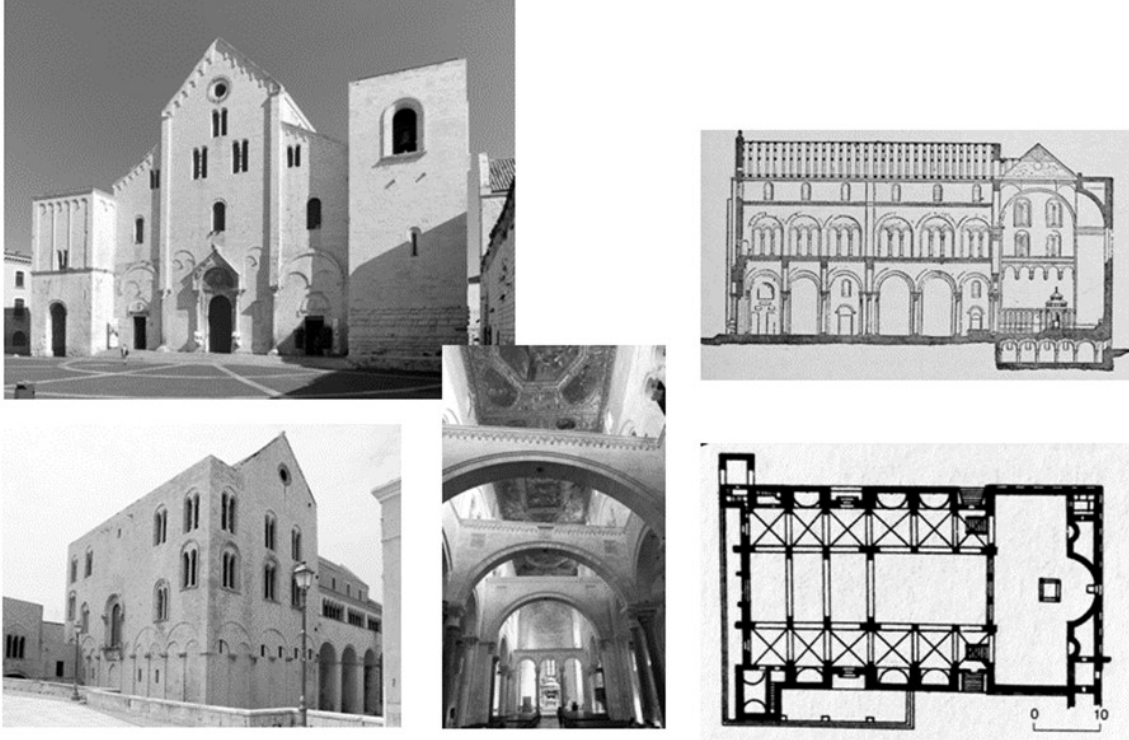
كما انعكس المناخ المتوسطي المائل إلى الحار صيفا السائد في هذه المنطقة الجنوبية على العمارة مما أدى إلى انتشار الأسقف الجملونية ذات الميل الخفيف إضافة إلى الأسقف المستوية.

تعد من الأمثلة على هذه العمارة كنيسة القديس نقولا في باري Basilica San Nicola, Bari وكتدرائية القديس نقولا في تراني San Nicola Cathedral, Trani. إضافة إلى مبان هامة في جزيرة صقلية منها كاتدرائية سيفالو Cefalú Cathedral وكتدرائية مونريالي Monreale Cathedral وقصر لا سيزا La Siza, Palermo وقصر القبة La Cuba الواقعان غرب باليرمو التي ساهم البناؤون العرب في بنائها.

1.2. كنيسة القديس نقولا في باري - Basilica San Nicola, Bari

بنيت الكنيسة في مدينة باري أثناء سيطرة الملوك النورمانديين على منطقة أبوليا جنوب إيطاليا ما بين 1106-1087 م لتضم رفاة القديس نقولا التي تم نقلها إلى هنا في هذه الفترة.

تنعكس بنية البازيليكا على الواجهة الغربية المبنية من الحجر المنحوت بإتقان، حيث تفصل دعائم جدارية بارزة المجازات عن بعضها ويتم التأكيد على ميل الأسقف من خلال إفريز مائل من الأقواس نصف الدائرية round arch frieze. تنفتح وسط كل مجاز بوابة بسيطة يعلوها تشكيل من الأقواس الظاهرية ومن ثم نوافذ بسيطة أو مزدوجة ذات أقواس نصف دائرية. البوابة الرئيسية لها مظلة محمولة على عمودين جانبيين يرتكزان من كل جهة على تمثال أسد. ولكن أكثر ما يلفت النظر الارتفاع المربعان الملحقان بالواجهة الغربية وهو تأثير للعمارة الفرنسية في منطقة النورماندي غير أن هذين البرجين لم يكتمل بناؤهما.



كنيسة القديس نقولا في باري: مقطع طولي - مسقط - المجاز المركزي - واجهة غربية وشرقية

عند الدخول إلى المبنى نجد بازيليكاً مكونة من ثلاثة مجازات تفصل بينها أروقة تتناوب فيها الدعامات والأعمدة تحمل أقواساً نصف دائرية ويعلو كل من المجازين الجانبيين رواق gallery. المجازان الجانبيان مسقوفان بقبوات متصالية في الطابق الأرضي بينما كانت الأسقف العلوية جملونات مفتوحة، كما في المجاز المركزي.

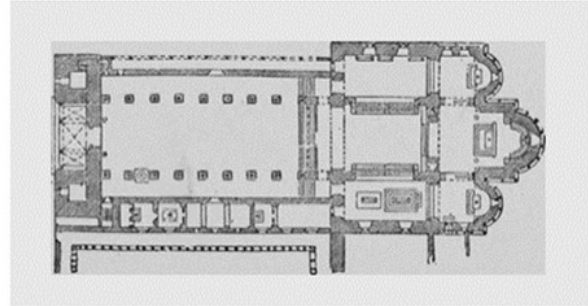
يفصل المجاز المعترض عن الباقي بثلاثة أقواس وينفتح في نهايته الشرقية محراب مركزي بالإضافة إلى محرابين جانبيين صغيرين ولكنها هذه المحارِب لا تظهر من الخارج إذ تغلفها كتلة مكعبة تستخدم عناصر مشابهة للواجهة الغربية.

2.2. كاتدرائية مونريالي - Monreale Cathedral

أنشئ المبنى المعروف بـكاتدرائية مونريالي Cathedral of Santa Maria Nuova, Monreale الواقعة في شمال جزيرة صقلية ما بين 1172-1176م من قبل الملك وليم الثاني ملك صقلية.

يتم الدخول إلى المبنى المنشأ من الحجر الكلسي من جهة الغرب عبر بوابة غائرة تتوسط برجين مربعين بسيطين. يظهر تأثير العمارة الإسلامية في استخدام الأقواس المتقاطعة فوق البوابة. المسقط ذو تصميم بازيليكالي مكون من ثلاثة مجازات: مجاز مركزي ومجازين جانبيين يفصل بينهما رواق من الأعمدة والأقواس مدببة المتطاولة التي تشبه الأقواس

الفاطمية. القسم السفلي من الجدران ذو إكساء رخامي ينتهي بصف من أزهار الزنبق (تأثير عمارة إسلامية) يعلوها لوحات من الفسيفساء ذات خلفية ذهبية بمواضيع مختلفة تغطي أيضا كامل الجدران التي تعلو الأورقة (تأثير بيزنطي) - كما تلفت النظر أرضية الكنيسة المنفذة من الرخام المشقف (تأثير عمارة إسلامية).



كاتدرائية مونريالي: واجهة شرقية وغربية - مسقط - المجاز المركزي

أما في جهة الشرق فيلي المجاز المعترض ثلاثة محاريب تتميز بإكساءها من الداخل بفسيفساء ذات خلفية ذهبية بمواضيع كنسية، بينما تغطيها من الخارج مجموعة من الأقواس المتقاطعة المنفذة على شكل أشرطة زخرفية مكونة من حجارة ملونة صغيرة (أسود - أصفر - أبيض) مع وجود حليات دائرية مختلفة ضمن السطوح. ألحق بالكنيسة دير لم يبق منه اليوم إلا فناء الدير cloister المحاط بالأورقة ذات أعمدة صغيرة مضاعفة لها أشكال متعددة تحمل أقواسا مدببة ومتطاولة (تشبه الأقواس الفاطمية).